جامعة واسط
مجلة كلية التربية

العدد الحادي والأربعون
الجزء الرابع /تشرين الثاني/٢٠٢٠

فكرة الصراع بين الالهة عند السوريين القدماء

الباحثة: سهاد علي عبد الحسين
كلية التربية/ جامعة القادسية
Dr.Suhad21@gmail.com.

أ.د. سعد عبود سمار
كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة واسط
Sabbood@uowasit.edu.iq.

الملخص:

عدت الحضارة السورية واحدة من الحضارات التي أطلق عليها تسمية الحضارات الدينية شأنها في ذلك شأن حضارة بلاد الرافدين ووادي النيل لما يشكله الدين من محور وركيزة مهمة في حياة الإنسان السوري القديم وعلى مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية . إذ كانت الأساطير الخاصة بالخلق والتكوين تأتي في مقدمة المنظومة الميثولوجية للمجتمع السوري القديم .

لقد نظر سكان أوغاريت إلى عناصر الطبيعة على أنها تمثل حياة الآلهة المتعددة والتي تنعكس على حياتهم بصورة مباشرة ، فقد آمن الإنسان السوري القديم بأن كل ما يدور في الطبيعة هو من عمل الآلهة وهو انعكاس لحالة الصراع بين الآلهة من جهة وصراع الآلهة مع البشر من جهة أخرى ، فقد ساد الاعتقاد بأن صراع الآلهة يحدث إخلال التوازن على الأرض .

فالصراع بين الآلهة يؤثر في حياة الإنسان السوري القديم من خلال مشاركتها للبشر حياتهم اليومية وسعيها في تقديم يد العون لهم ، إذا ما أظهروا حاجتهم وتقديرهم لها وطاعتهم لأوامرها ومعاتبتهم إذا ما أحست منهم عدم التقدير والاحترام ، إن تلك المعتقدات دفعت بالإنسان السوري القديم إلى تقديم القرابين من أجل الظفر برضا الآلهة .

إن فكرة الصراع بين الآلهة قد جاءت نتيجة لإيمان الإنسان السوري القديم بتميز الآلهة بصفات أساسية كان أهمها الخلود ، فضلاً عن حدوث تبدل في صفاتها وجنسها ووظائفها المتعددة التي كانت تقوم بها بين الحين والآخر .

هذا وقد وضعت الأساطير السورية القديمة شأنها شأن ما موجود في بلاد الرافدين ووادي النيل فيما يتعلق بصراع الآلهة بعضها مع بعض للاستئثار بالسلطة على الآلهة والبشر على حد سواء .



The conflict of gods in ancient Syria

Suhad Ali Abid al- Hussein   Pro. Dr. Saad Abbood Sammar

Abstract:

The Syrian civilization is considered as one of the religious civilizations like that kind in ancient Egypt and Iraq . The role of religion in life in these lands was so great and important politically, economically and socially . So the myth of creation comes first within the Syrian Mythology in that society .

In Ugarit , people thought that every element in nature was connected with god's life and all things happen according to their will and within their control . They therefor had considered that there was an influence and effect of gods upon their life directly .Moreover , they thought that there was a conflict among gods themselves on one hand and between gods and mankind on the other hand .The conflict of gods had effected the human life when gods participated people in their daily life . Then the relation between gods and mankind becomes helpful and normal if man respects and pleases his gods and vice versa .

In addition , man felt his need of gods' help and sympathy whenever there was danger or weakness in his life . But this required man's obedience and respect in order to win their favor and assistance . This matter required also that man should offer sacrifices for gods and this would please them and win their mercy , help and sympathy .

What is important regarding the theme of our topic is that the idea of conflict among gods , or between man and gods arises from the thought that the life of gods was eternal . And this means that their features , adjectives , powers , , race as well as their functions were eternal as well , and thus had an influence on man as gods did from time to time . Of course the gods were , as people , struggling each other to win power and defeat the weak gods to be the master of the situation on earth . This religious feature of gods was almost the same in Syria , Iraq and Egypt .

المقدمة:

اطلق اسم سوريا قديماً على المنطقة الممتدة بين جبال طوروس وسيناء، بين البحر المتوسط والبادية، ومنها لبنان وأجزاء من فلسطين، اذ كان سكانها يعرفون بالسوريين (أحمد ، د.ت ، ص٥٢). وعرفت سوريا في النصوص العراقية القديمة باسم (آمورو)(الجوهري، ١٩٨٤م ،ص٢١١؛ سامي ، ١٩٧٩م ، ص٩٢)، في كتابات الملك الاشوري اسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ ق.م) وردت تحت مصطلح (بلاد ختي) لأول مرة، إذ شمل هذا المصطلح أربع وعشرون مدينة، تحدد الرقعة الجغرافية لسوريا وهي (صور، يهودا، ايدوم، موآب، غزة، عسقلون، ايكرون، بيبلوس، ارباد، سامسيمورونا، عمون، اشدود) فضلاً عن اثنتي عشرة مدينة ساحلية (سامي، ١٩٧٩م ، ص٩٢). اما تسمية بلاد الشام فقد اطلقت من قبل عرب الجزيرة على كل المنطقة الواقعة شرق البحر المتوسط والتي ساعدتها ظروفها الطبيعية أن تجعل منها وحدة جغرافية واحدة(هديب ، ٢٠٠٢ ، ص٢).

ومن الجدير بالذكر أن جغرافية سوريا القديمة تتألف من بقاع واطئة فضلاً عن مناطق جبلية مرتفعة تتجه بوجه عمودي من الشمال إلى الجنوب، ويمكن بحسب ما أورد (طه باقر) تمييز خمسة مناطق فيما بين البحر والبادية وهي الشقة الساحلية، والمنطقة الجبلية (جبال لبنان الغربية) ، وثالثها شقة منخفضة واطئة (مثل البقاع وطبرية الخ)، ومنطقة جبلية ثانية (جبال لبنان الشرقية وجبل الشيخ... الخ) ، وأخيراً منطقة البادية (طه ، ١٩٥٦م ، ص٢١١-٢١٢).

ويبدو إنّ هذا الاختلاف في طبيعة سوريا القديمة الجغرافية كان له الأثر الكبير على المعتقد الديني للسكان في مختلف المناطق سواء الواقعة على المرتفعات أم الواقعة على المناطق الساحلية والسهلية، التي كانت مركز اتصال وتقارب مع مختلف الأقوام الأخرى الأمر الذي أدى إلى ظهور فكرة التأثير والتأثر، ومن أكثر الأفكار الدينية تقارباً كانت بين السوريين وسكان بلاد الرافدين فضلاً عن التأثير الديني المصري.

لقد كان للدين الأثر الأكبر على حياة الإنسان، منذ أقدم الأزمنة، حتى وقتنا الحاضر، فهو محور لجوانب شتى من الحياة بما فيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبذلك يمكن عدّ الدين الركيزة التي قامت عليها الحضارات الإنسانية، فضلاً عن كونه عنصر هام اشتركت به، وبناءً على ذلك يمكن أن تسمى بالحضارات الدينية، مثل حضارة بلاد الرافدين، ووادي النيل وحضارة سوريا(جورج ، ١٩٩٧م ، ص١١٦ ؛ طه ، ١٩٤٦م ، ص١)، إذ كانت أساطير الخلق والتكوين في مقدمة المنظومة الميثولوجيا لأيِّ مجتمع من هذه المجتمعات(محمد ، ١٩٩٢م ، ص٤٣).

ارتبطت الديانة الكنعانية ارتباطا وثيقاً بطبيعة أرض كنعان، فضلاً عن ارتباطها بالعوامل الجغرافية (كارم ،١٩٩٩م ،ص٢٨ ؛فراس ،٢٠٠٦م ،ص١٠)، إذ عكست العبادات في جوهرها وظاهرها مدى التأثر بتلك الطبيعة، وفكرة الخصوبة والتعلق الروحي بالشمس، وعبادة الظواهر الخارجة عن سيطرة الإنسان(جان مازيل ، ١٩٩٨م ، ص٣٣-٣٨)، فضلاً عن ذلك أن هذه الديانة هي مجموعة من الطقوس والعبادات التي كان لزاماً على المدن الفينيقية القيام بها، وإنْ كانت تختلف من مدينة إلى أخرى، إذ كان لكل مدينة (بعلها) (أي سيدها)(محمد ، ٢٠١٠م، ص١٤٦-١٤٨)، وهنا نجدها تركز في شعائرها وطقوسها على ذلك المعبود أو تلك المعبودة، وهنا نجدها قائمة على أمرين هامين، هما: الانفتاح والقدرة على التطور.(محمد ، ١٩٩٨م ، ص١٤١)

ومن الجدير بالذكر أن الدين الكنعاني أدنى من الدين البابلي والآشوري من حيث المستوى الحضاري، ويبدو ذلك جليا في قسوة طقوسه، واهتمامه بالعناصر الجنسية، كما أن معبوداته امتازت بأنها ذات طابع غير محدد أو ثابت، فكثيرا ما كانت الإلهة تتبادل في خصائصها ووظائفها وصلاتها فضلاً عن جنسها، ويمكن أن يكون ذلك بسبب انعدام الوحدة بين المدن الكنعانية، وعدم وجود طبقة من الكهان تأخذ على عاتقها عملية تنظيمه، كما هو الحال في ديانة بلاد الرافدين (سبتينو موسكاتي، ١٩٦٨م، ص١٢٧).

أما فيما يخص أوغاريت ومع ظهور علم الأساطير أو علم الميثولوجيا إلى الوجود، ترافق هذا الظهور مع مشكلة ما تزال حتى الوقت الحاضر دون حل، وهي عدم القدرة على إيجاد صيغة ثابتة ودائمة لتعريف علم الأساطير(مظهر، ٢٠٠٠م ، ص٥)

فمن المعلوم أنّ سكان مملكة أوغاريت تركوا لنا كثير من اللوحات والنصوص التي نقلت أفكار ومعتقدات سكان هذه المملكة، وقدمت لنا هذه النصوص نظرة سكان هذه المملكة إلى الكون من حولهم، وبينت لنا ما آمنوا واعتقدوا به بكل وضوح ، فلقد نظر سكان أوغاريت إلى عناصر الطبيعة بكل تمعن، وقد قدسوا هذه العناصر على أساس أنها تمثل حياة الآلهة المتعددة ، التي تنعكس على حياتهم بصورة مباشرة.(ميرسيا ، ٢٠٠٤م، ص٧)؛فالإنسان الأوغاريتي آمن بأنّ كلّ ما يدور في هذه الطبيعة هو نتاج عمل هذه الآلهة، وهو انعكاس لحالات الصراع بين الآلهة من جهة، وصراع الآلهة مع البشر من جهة أخرى، فقد ساد الاعتقاد بأنّ الصراع بين الآلهة يؤدي إلى الإخلال بالتوازن على الأرض ، و هذا الخلل بدوره سرعان ما يعود إلى التوازن بفعل أعمال الآلهة أيضاً ؛ فالخلل والتوازن الذي يصيب الكون ما هو إلا تجسيد لحالة الصراع بين الآلهة الأوغاريتية ، الأمر الذي يؤثر على حياة سكان أوغاريت بشكل كبير.(حسن ، ١٩٩٤م، ص٦٩)

لقد كانت الالواح التي كُتبت عليها الملاحم والأساطير الأوغاريتية بحالة سيئة، تحوي كثيراً من النقص والتشويه، ومن الصعب قراءتها، وعدم معرفة ما فيها من أسرار، وذلك لقدم هذه الالواح إذ تعود للقرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد من جهة، فضلاً عن تعرضها المستمر لعناصر الطبيعة المختلفة ، وإنّ بعض تلك الالواح تم تناقلها شفوياً ، وبعضها تم تناقله عن طريق الكتابة وبشكلها النهائي (شارل، ١٩٩٠م، ص٦٣)

قدمت لنا أساطير وملاحم أوغاريت قصصاً تتحدث عن علاقة الحكام الحكماء المباشرة مع الآلهة، هذه الآلهة التي طالما أظهرتها هذه الأساطير على أنها تشارك البشر حياتهم اليومية وتسعى بكل ما تملك من أجل تقديم يد العون لهم إذا ما أظهروا حاجتهم وتقديرهم لها، كما حدث في أسطورة أقهات وكرت(عصام، ص٢٨٣) وغيرهما، إذ قدمت لهم المساعدة أكثر من مرة، وكذلك معاقبتهم إذا ما أحست منهم بعدم الاحترام والتقدير، كما حدث مع أقهات الذي سخر من عناة فكلفه ذلك حياته إنّ تلك المعتقدات دفعت السكان إلى تقديم القرابين من أجل الظفر برضا الآلهة (حسن، ص٧٠)

ومن الجدير بالذكر إنّ الأساطير الأوغاريتية امتازت عن غيرها من الأساطير بعدم ظهور أية قافية لهذه النصوص، فالقصائد الأوغاريتية تسير اثنين اثنين، وفي النهاية تعبر عن فكرة واحدة فضلاً عن كلماتها لا تلفظ بشكل سليم بسبب عدم وجود حروف صوتية ، وهذا ما يفسر الخلاف الكبير بين العلماء أثناء دراستهم لهذه النصوص وتحليلها(شارل، ص٦٣)الخلاف كبير بين عالم الآلهة وعالم البشر، على الرغم من إعطاء الآلهة صفات بشرية إلا أن الخلاف يبقى في كثير من الجوانب

يبدو أن الآلهة في أوغاريت كانت تقوم بما تمنع منه البشر، فمن المعلوم أن الآلهة الأوغاريتية لم تلتزم بالمعايير الأخلاقية التي طالبت البشر بتطبيقها ، ولم يُعدّ ذلك ذو تأثير على محبة البشر للآلهة، فلقد تميزت الآلهة عن البشر بصفات أساسية ، كان أهمها صفة الخلود، والإنسان في أوغاريت كان مدرك لهذا التميز الخاص بالآلهة، فهي ذات طابع غير محدد ، تتبدل صفاتها ووظائفها وصلاتها ، وأحياناً كثيرة يتبدل جنسها ، وربما كان ذلك في مرحلة تطور البانثيون الأوغاريتي وصولاً إلى ما هو عليه (سبتينو موسكاتي، ١٩٨٦م، ص١٢٧)

لقد زادت المعرفة بتلك الأساطير في الألف الثاني قبل الميلاد لاسيما المتعلقة بمملكة أوغاريت بشكل كبير وملحوظ في اكتشاف أرشيف المكتبة الخاص بالكاهن الرئيس لمملكة أوغاريت المدعو (إيلي ميلكو)التي عُدّت مصدراً لا ينضب أمام الدارسين والمهتمين بالدراسات الأوغاريتية ، التي عُدّت طقوس رسمية للناس في أوغاريت ، إذ كان يتم ترتيلها في أوقات ومناسبات محددة.
(جبرائيل ، ١٩٧٥م، ص١٢ وما بعدها .)

أولاً- أسطورة الصراع بين الإله (بعل) والإله (إيل) كبير الآلهة السورية:

جسدت الأساطير والملاحم الأوغاريتية الكثير من المعتقدات والأفكار التي آمن بها سكان هذه المملكة، والتي انعكست على حياتهم بصورةٍ مباشرة، فقد اعتقدوا جادين أن كل ما يحدث في الطبيعة هو من عمل الآلهة، وأثر الصراعات الحاصلة بين الآلهة مع بعضها من جهة ومع البشر من جهة أخرى في ذلك. فالأساطير السورية القديمة قد ضمت شأنها شأن أساطير بلادِ الرافدين وبلاد النيل ما يتعلق بصراع الآلهة بعضها مع بعض للاستئثار بالسلطة على الآلهة والبشر على حد سواء.

تُعدّ أسطورة دورة (بعل) من أهم الأساطير المتعلقة بمملكة أوغاريت في الألف الثاني ق.م وأكثرها تكاملاً من حيث المعلومات فهي تتألف من ١٢٠٠ سطر. جزء كبير منها قد تعرض للتلف أي ما يقارب الخمسين بالمئة منها، مما جعل الكثير من المهتمين بهذا الجانب من الدراسات محاولة التوصل إلى معلومات جديدة من مصادر أخرى تعوض النقص الحاصل فيها، تتكون الأسطورة من ثلاثة أجزاء، كل جزء منها مكتوب على قرصين على كلا الجانبين ستة أعمدة لكل جانب، هذا ويمثل صراع (بعل) مع الإله (إيل) (عصام ، ص٥٣-٥٤) أحد محاور الجزء الأول من الأسطورة التي تم العثور عليها في السنوات ١٩٢٩-١٩٣٠م.

يُعدّ صراع الإله (إيل) كبير الآلهة الاوغاريتية مع (بعل) صراعاً كونياً حاصل بين جيل الآلهة القديمة المتمثل بالإله (إيل) (الطاعن بالسن) وبين جيل الآلهة الجديدة المتمثل بالإله (بعل) (الشاب النشيط) الذي يخلف أباه، يضاف إلى ذلك أن هذه المرحلة قد شهدت كثرة الصراعات الحاصلة بين الآلهة التي تبدأ بنشوب حالة التوتر بين الإله (بعل) والإله (إيل)، وهذا ما تميزت به النصوص الاوغاريتية في عصر البرونز المتأخر ، والسبب قد يعود إلى محاولة هيكلية البانثيون الاوغاريتي من جديد ، ومحاولة كل إله الحصول على مكانةُ فيه(عصام ، ص٨٧).

وعلى ما يبدو أن صراع (بعل) مع الإله (إيل) لم تكن له أسباباً ظاهرية على الأقل في بدايته، وإنما كانت له دوافعهُ الخفية والمتمثلة برغبة الإله (بعل) بتنحية الإله (إيل) عن عرش ملكه، ورئاسته للبانثيون الأوغاريتي، وأن يكون هو نائباً لهُ ، لاسيما بعد أن أصبح كبير في السن، وغير قادر على القيام بجميع مهامه تجاه الآلهة، بدليل أن الإله (إيل) يصف (بعل) في أحد المواضع بالمغتصب، لاسيما وأن (بعل) لم يكن الابن المحبوب لـ (إيل) في هذه المرحلة إلا أن موقفه هذا سوف يتغير مع الوقت(Wyatt, 2007, P.42-44).

إن السبب الظاهري للصراع لم يظهر إلا بعد أن أعلن الإله (إيل) بأنه قد وقع اختياره على ولده المحبوب الإله يم ليكون في منصب النائب لهُ في حكم الآلهة، والبانثيون الاوغاريتي. إذ بدأت

الأحداث في تطور سريع، فأعلن (بعل) رفضه لذلك وبشدة، والآلهة أيضاً كانوا ممتعضين من تصرف (إيل)، ومما زاد الطين بله هو تعهد الإله (إيل) إلى الإله (يم) بأن جميع الآلهة تحت إمرتهِ بما فيهم (بعل) يلبون مطالبيه، هنا يثار (بعل) أكثر مما سبق، رافضاً ضعفهُ واستسلامه ورغبته الجدية في الخلاص منه بوجود من يحقق له تلك الغاية(خزعل ، ١٩٩٩م، ص٥٠).

ونلحظ في بداية الأسطورة الجزء المتعلق بصراع الإله (إيل) والإله (بعل)، إذ ضمت وصفاً للطبيعة الجغرافية للمنطقة فضلاً عن إعطاء وصف للمواد المستعملة في بناء البيوت للآلهة، إذ كان يتم استعمال الأحجار، فضلاً عن أن تلك البيوت كانت على الأغلب في مناطق مرتفعة لاسيما بيوت الآلهة التي كانت تُبنى على ما يبدو بأمر من كبير الآلهة (إيل)، إذ يرد:

رسالة الثور (إيل) أبوك
كلمة الحكيم أبوك
كوثر بناء بيوت الآلهة
أنت الذي تضع الأحجار العالية
عند بناء المساكن.
أنت من يؤسس المساكن
على الجبال.(Wyatt, 2002 , P.42-43.)

ويبدو من أحداث الأسطورة أن الإله (إيل) قام بدعوة الإله (كوثروخاسيس) وإخباره بضرورة قيامه بإنشاء قصراً للإله (يم) مخاطباً إياه بالإسراع في القدوم إلى بيته الموجود في جبل كأس(رينيه ، ٢٠١٢م، ص٥٠٣)، مقر الإله (إيل) راكضاً، بعد أن ذهب الإله (كوثروخاسيس) إلى جبل صفون(أنيس،١٩٨٠م، ص٤٨) حيث يقطن الإله (بعل)، إذ يرد:

مع رمحك وصولجانك
دع أقدامك تركض إليّ
دع سيقانك تسرع إليّ
في وسط جبل الكأس
نحو عرش الجبل
أريد الكلام معك
سأكرر لك رسالتي
كلام الشجر وهمس الحجارة

همس السماء إلى الأرض
الفيضان إلى النجوم[1].
الكلام الذي يجهله البشر
تعال وأنا سأكشفه
في وسط الجبل المقدس صفون
كوثروخاسيس أجاب
يذهب مرافقو الآلهة
أنت لا تتأخر وأنا سأُعجل
من الآلهة الأبعد.(Wyatt, p.42-43-44.)

ويبدو من متابعة السرد في الأسطورة أن الإله (إيل) أراد الإسراع في احضار الإله (كوثروخاسيس) إلى جبل صفون، إذ يحضر من مقره لينزل على قدمي أبيه (إيل)، الذي يبدأ بمدحه ومن ثم ليسرد على الإله (يم) ما دب من الصراع بينه وبين الإله (بعل) بسبب السلطة، وأن الإله (إيل) اختار الإله يم ليكون نائباً عنه في الحكم؛ لأنه الابن المحبوب لـ (إيل)، فضلاً عن رغبة (إيل) بالخلاص من (بعل)، فوجد من يحقق له ذلك الأمر، الذي أغضب الإله (بعل)، إذ يرد:

طبقتان اثنتان تحت شقوق الأرض
ثلاثة من طبقات العوالم الأوطأ
عقب ذلك ترأس مباشرة
وضع وجهه نحو الحكيم نحو جبل
وظهر في خيمة (إيل) والملك الأب أبو السنوات
داخله اللامع الواحد
عند أقدام (إيل) نزل انحنى
وأعلن الولاء
وأبوه الثور (إيل) قال
أنت كوثر البناء. (عصام ، ص٦٣-٦٤؛ Johannes, 1987. p.22)

من الواضح أن عدم رضوخ (بعل) لقرار كبير الآلهة (إيل) والانصياع المطلق له ، عندما قام بتنصيب الإله (يم) نائباً عنه في المجمع الإلهي، فنشأ هذا الصراع الذي كان سببهُ عدم الرضوخ المطلق لقرار كبير الآلهة.

في الوقت الذي كان فيه صراع (بعل) مع (يم) صراعاً على الحكم نشأ نتيجةً لرغبة كليهما في السيطرة على الأرض وامتلاكها، وهو صراح متكافئ الأطراف، وقد أحدث تغيراً كبيراً في حياة الشعب الأوغاريتي، لأن (بعل) لا يجد نفسه أقل مرتبة من يم أي هو صراع على الحكم(حسني ، سليم ، ص ١٤)، إذ يرد:

من مرتفعات صفون
بكوا بشدة أولئك إلى القريب
إلى الواحد البعيد
كان البكاء جهورياً
و(إيل) جالس في مجلسه
(إيل) حزين لا يلاحظ
التصرف المخزي للمغتصب آلهة بيت سيدك
هو لا يستطيع التجول حول الأرض بسرعة
على الأرض فوضى الطين
يعطى الالهة خصبة للأكل
الوحل يعطى للشرب
أخذ كأساً في يده(Wyatt, p.46-47)
قدح في كلتا يديه
مثل حبوب الحنطة
تجمع مثل القبر
(إيل) يجب أن يعينه نائباً
الثور (إيل) يجب أن يعين
يم كنائب له
الإله الواحد الحكيم تكلم
ابني يم يدعوه إله
أميراً للآلهة
لأنك احتقرتنا
اطرده بعيداً.(حسني، سليم، البعل، ١٩٩٥م، ص ٣٣ ، ٣٤)

عن كرسي ملوكيته

هو أعلن اسم يم أعلن اسم نهرو.

السيدة أشيرة أجابت

في الحقيقة أنت أعلنت

أنت ستكلفه بالحكم

أجاب (إيل)

أنا الإله الواحد

أعلن اسم يم

تسمية محبوب (إيل)(De Moor ,p.25-26).

ومن ثم يبدأ الإله (إيل) بتقديم المغريات للإله (يم)، ليدخل الأخير في صراع مع الإله (بعل)، الذي اغتصب قصر الإله (إيل) بعد أن أعلن عدم اعترافه به، إذ أسماه ابن داجان(أنيس ، ص٤٣).

أنا سأعطيك بيت الفضة خاصتي

قصر من الذهب

أنت قد تأخذه من يدي (بعل)

من يد ابن داجان

من عرش سيادته

كطير يطير من وكره

لكن إذا أنت لم تطرده بعيداً

هو سيطردك

(إيل) ضحى في بيته وفي المأدبة أعلن ابنه

ذبح الثيران والخراف

والكباش السمينة والعجول

صغار الخراف(فايز ، ٢٠٠٥م، ص ١٨ ؛ Wyatt, p.50-51.).

على ما يبدو أن للصراع دلالات دينية تعطينا صورة واضحة عن الديانة الكنعانية كونها قائمة على عقيدة راسخة وقيم عليا. فجاء الإله (بعل) ليوجه حروبه ضد أعداءه بالتعاون مع أخته عناة في مقارعة الفوضى المتمثلة بالإله (يم)، والقضاء على الفساد والموت والخراب المتجسد بـ:

(موت) لينتصر النظام على الفوضى، فيأتي المطر في وقته وتتفوق الحياة على الموت بعودة الإله (بعل) من الموت لتنتصر بذلك الحياة.

إنّ رمزية الأسطورة في تجديد القوة الجنسية (الخصب عند الإنسان) المتمثل بالحيوية والنشاط لدى الإله (إيل) أبو الآلهة بعد بلوغه سن اليأس ومرحلة الضعف الجنسي، إذ يقوم بتجديد قوته الجنسية مع امرأتين شابتين فنتج عن ذلك ولادة الإلهين شهار وشاليم(أنيس ، ص٩٩).

ثانياً– أسطورة الصراع بين الإله (بعل) و الإله(يم):

وصلتنا هذه الأسطورة على ألواحٍ كثيرة العطب والتّشويه، ومعظمها عبارةٌ عن قطعٍ غير متكاملةٍ، إلا أنّهُ تم العثور عليها مرتّبةً على نظامٍ معيّنٍ، إذ لا يمكننا معرفة إنْ كانت تلك الأسطورة جزء من أسطورة (بعل) أو أنَّها مستقلة عنها، ومن ثم صار من الصّعب على الباحثين معرفة حبكة القصّة في ترتيبها الأصليّ، فكاتب الألواح لم يعطها تسلسلاً معيّناً(تقي ، ص٦٠٧- ٦٠٩)، إذ يمثل الجزء الأول من الأسطورة صراع الإله (يم) مع الإله (بعل) الذي يُعدّ صراعاً كونياً غايته ترسيخ النظام ، فضلاً عن أنهُ يعكس أثر ملحمة الخليقة البابلية، فهو صراع شبيه بصراع تيامة ومردوخ الذي نظم الكون بعد انتصاره عليها(شارل ، ص٨٣-٨٤).

يؤدي الإله (يم) إله وملك البحار والأنهار دوراً أساسياً في هذه الأسطورة، فهو إله المياه الفوضوية الذي خسر المعركة مع الإله (بعل)، تتضمن الأسطورة حالة الصراع الذي بدأ بالشجار حول الذهب ومحاولة كل من (بعل) و (يم) الحصول عليه، وإصرار (يم) على استرجاعه بعد قيام الإلهة (عناة) بالاستيلاء على الذهب وإعطاءه لأخيها (بعل) على أثر معركة خاضتها ضد أعدائها الذين كان (يم) واحد منهم(شارل ، ص٨٠-٨١)، فضلاً عن التنافس بين الإلهين بشأن ملوكية الآلهة أو منصب نائب (إيل)(قصي، ٢٠٠٨م، ص٢٢٨) بعد أن قام الإله (إيل) باختيار الإله (يم) ليكون نائباً عنهُ في مجمع الآلهة، وإصرار الإله (إيل) على ذلك، فهو أمير البحار وقاضي الأنهار الذي أحبه الإله (إيل)، وساعده في بناء قصره، هذا وحول تعبير القاضي نهر، فقد كان تصور القدماء حول ذلك أن هناك نهر يحيط بالأرض، وعند الوصول إلى ذلك النهر ينتهي عالم الأحياء ليبدأ عالم الأموات، ويجب أن يقدم الإنسان حساباً من أجل الدخول إلى ذلك العالم. ومن منطلق أنّ يم سيد هذا العالم ، يجب أن يُقَدّم حساباً لهُ ، فهو قاضي الأموات، وهذا ما يدعم القصة المصرية التي تعود إلى عهد السلالة التاسعة عشر (١٣٤٥-١٢٢٠ ق.م) التي تروي أن الإله (يم) كان يأخذ الجزية من الآلهة(أنيس، ص٥١).

ومن الجدير بالذكر أن الإله (عشتر) عندما علم بخبر قيام الإله (إيل) باتخاذ الإله (يم) نائباً عنهُ، أمتعض من الخبر، وأبدى اعتراضهُ عليه لعدم اختياره هو بدلاً عن (يم)، غير أن الإلهة شاباش(Patton, 2001, P.52.) قد أعلمته بأن عدم اختياره يرجع إلى كونه غير متزوج، وليس لهُ أولاد، وهذا يدل على أنه قاصر وغير قادر كإله للسقي على توفير المياه اللازمة للزراعة في أوغاريت وهي بلد زراعي تعتمد كلياً على الأمطار البعلية. وهنا يقرر الإله (عشتر) أن يقوم ببعض الإجراءات رداً على ذلك، إذ يرد:

نير الآلهة، الشمس، ترفع صوتها وتصرخ : أسمع
أن ثور –إيل أباك يؤثر رفع (تقديم) الأمير "يم"
رفع القاضي نهر.
ألا يسمعك ثور –إيل أبوك؟ ألا يهدم أركان بيتك ويزيل
كرسي ملكك؟ ألا يحطم صولجان سلطانك؟ فأجاب عشتر...
أبي ثور –إيـل، أنا ليس لي بيت كما للآلهة ومسكن كما لبني
القدس (مع) الآساد: سأهبط إلى حفرتي (العالم السفلي)
فيغسلني (يطهرني) الصالحون في منزل
الأمير "يـم" في هيكل القاضي نهر . [ولكن] ثور– إيل أباه أثر
رفع الأمير "يـــم"
القاضي نهر [لست أهلاً] لتتولى ملكاً إذ ليس لك زوجة كما للآلهة
ولا فتيات (جوار) كما لبني القدس. فأجاب الأمير "يـم" أجاب
القاضي نهر.
... يرسلني. فأجاب عشتر ...(أنيس ، ص١١١).

يتضح مما تقدم أن نصوص هذه الأسطورة تنفي وبالدليل القاطع كل الاتهامات التي أُلصقت بالمجتمع الأُوغاريتي حول ممارسة سكانه للزواج المشاعي، فإنها تؤكد على ضرورة وشرط وجود الزوجة والأولاد في حياة الإنسان في أوغاريت. كما أكدت لنا الأسطورة على أهمية ولي العهد، وضرورة أن يكون للملك ولد من صلبه لأن عدم وجوده يعني حرمانه من الملك، وهذا ما أكده لنا النص بشأن ما حل بالإله (عشتر)، فولي العهد يجب أن يتميز بمميزات لاسيما حتى يصل إلى سدة الحكم، فليس بالضرورة أن يكون ابن ملك، وإنّما يتميز بالقوة والعزم، ويكون متزوج وله أولاد كي

يضمن الاستمرارية في سلالته الحاكمة، لأن ضياع أي من هذه الشروط يفقدهُ المنصب(عصام ، ص٩١).

لقد رفض الإله (بعل) الوقوع تحت نفوذ الإله (يم)، لأنه كان في الأساس يطمح أن يكون هو النائب عن (إيل)، علاوة على ذلك رفضهُ لحالة الخنوع التي كان عليها الآلهة أمام الإله (يم)، وموقف الإله (إيل) المؤيد إلى (يم) وتمسكهُ بأن يكون هو النائب عنه(عصام ، ص٥٦).

لقد عبر الإله (بعل) عن رفضه لملوكية الإله (يم) بالقيام بتهديده بأنهُ سوف يقوم بتكسير رأسهُ عن طريق السلاحان السحريان اللذان قام بصناعتهما لهُ الإله (كوثروخاسيس) إذ يرد:

ثرت ضده (بعل) الجريء أجاب
أنا سأحرمك من
عرش الملك من قصرك
سأحاصر سيادتك
الطارد سيضربك على الكتف
سيضربك على الجمجمة يا حاكم النهر
حورون سيحطم
حورون سيحطم رأسك
أشيرة قرينة (بعل) ستضرب جمجمتك
تهبط إلى مكان الموت
ستسقط في ذروة سنواتك
أذل فارغ اليدين(Wyatt, P.56).

من الواضح أن الإله (يم) عقب هذا التهديد، يقوم بإرسال رسالة إلى الإله (إيل) بيد رسله، يطلب فيها منهُ القيام بتسليم (بعل) إليه مطالباً إياه التخلي عن حماية (بعل) إذ يرد:

أرسل يم الرسل
سفارة أرسلها حاكم النهر
بالابتهاج العظيم
طاردة نحو السماء
خياشيمهم تندلع
غادر الفتيان

ثم أنت ستترأس المجلس

على جبل ليل

لا تسقط

عند أقدام (إيل)

أنت ستحضر اجتماع المجلس

أنت ستتكلم وستعلن رسالتك

أنت ستقول

لإيل

أعلن في اجتماع

المجلس

رسالة يم سيدك

حاكم النهر يخبرك

تخل عن الإله عن إله العاصفة

تخل عن (بعل) وحاشيته

ابن داجان أنا سأستولي عليه

الرسل تغادرهم لا يتأخرون ثم(Wyath, P.57)

نلحظ من النص أعلاهُ أنهُ يتوجب على الإله (إيل) تحديد موقفه من الرسالة التي بعثها الإله (يم) إلى الإله (بعل)، فكان جوابه إنّ جميع الآلهة هم بخدمة (يم)، ويلبون مطاليبه بما فيهم (بعل)، وهذا دليل على خوف (إيل) من (يم) والسعي إلى كسب رضاه إذ يرد:

" **عبدك بعل يا يم،**

" **عبدك بعل يا نهر،**

" **ابن دجن اسيرك**

يجلب لك تقدمة كالآلهة

" **يجلب لك تقدمة كبني القدس."(حسني، ١٩٩٥م، ص٢٣)**

عند سماع الإله (بعل) لهذا الكلام انتفض محاولاً قتل الرسولين لولا تدخل كل من الالهتين (عناة) و (أشيرة) موضحتان لهُ بأنهُ لا يجوز قتل الرسل مهما كانت أخبارهم تحمل إساءة إليه إذ يرد:

صاحب السمو أصغى غاضباً
وأمسك فأس في يده
في يده اليمنى وضع الفأس
قرر مهاجمة الرسل
فأخذت عناة بيده اليمنى
وأخذت أشيرة بيده اليسرى
كيف تقتل رسل الأمير يم
سفارة حاكم النهر الرسل لا تذبح
على عظام الكتف كلمة أميرهم
صاحب السمو (بعل) أصبح غاضباً
الكرمة ستذبل وكذلك الحقول
رسل يم سفارة حاكم النهر(عصام، الأساطير، ص ٧٨- ٧٩).

وهنا يأتي جواب الإله (بعل) على رسالة (يم) من خلال رسله مبيناً لهُ بأن انتقامه سيكون شديداً، وأنه سيقوم بإرساله إلى أرض العالم السفلي، إذ يرد:

(بعل) تكلم رفع صوته وبكى
قولوا ليم سيدكم إلى حاكم النهر
اسمع كلمة (بعل) المنتقم هدد
رسل يم لم يخضعوا
لا استطيع الطرد إذا أرى
منجل الدمار
يم سيكون مأكول للديدان
إلى نهر التهم الدود
هناك بالسيف أنا سأحطمه
أنا سأسقطه
إلى العالم السفلي
إلى قوتي(De Moor, P: 33-34).

على ما يبدو أن الإله (بعل) لم يكن غاضبه ناتج عن رسالة الإله (يم) فقط، بل كان أيضاً منزعج من ردة فعل باقي الآلهة التي كانت ممتعضة وغير راضية عن موضوع اختيار الإله (يم)، لكنها في الوقت نفسه لا تستطيع الاعتراض؛ لأنَّ قرارات الإله (إيل) لا تُعارض، وعليه اضطرت إلى الانصياع والرضوخ لرغبة (إيل) بالإضافة إلى خوفها من قوة (يم) وبطشه، فكان هو الوحيد من وقف في وجه الإله (يم)، وأصر على موقفه (عصام، ص٥٦).

ومن الجدير بالذكر أن الإله (يم) كان عكس الإله (موت) في قساوته، إذ يستطيع الأحياء من البشر الابتهال إليه، وهو يستمع إليهم ويستحوذ على تعاطفهم(جان مازيل، ١٩٩٨م، ص ٣٣).

تبين من سير أحداث الاسطورة أن الإله (كوثروخاسيس) يُعلن وقوفه إلى جانب الإله (بعل) مبيناً ضرورة ضرب خصمه ومعاقبته، وإلا فإنه سوف يستولي على مكانته في مجمع الآلهة، وهنا يترجم (كوثروخاسيس) وقوفه ومساعدته لـ (بعل) عن طريق قيامه بصناعة سلاحين سحريين يستعملها في صراعه مع الإله يم، كان اسم السلاح الأول (يجرش)، إذ يرد النص:

و سيطرد يجرش يم
يطرد يم عن عرشه
يطرد يم عن عرشه ونهار عن ملكه
فهل يمكنك أن تفلت من يدي بعل
وكأنه صقر، تفلت من بين أضافره
أضرب الأمير يم على كتفه(رينيه ، ص٤٤٦)

يبدو من خلال النص آنف الذكر أن الإله (بعل) أعد العدة في صراعه مع الإله (يم)، ووضع المخططات لهزيمة الإله يم، إذ نجده يخاطب أداته (هراوة) للانقضاض على الإله (يم)، ويذكره بأن ينقض عليه مثل الصقر منطلقاً من يد (بعل) دلالة على القوة والحدة وتذكيرهُ بأنه يمثل (بعل)، ثم نجده يبدأ بتنفيذ هجومه، إذ ينقض على (يم) ويضربه بالهراوة في كتفه، إلا أن الإله (يم) لم يتأثر بسبب قوته، وحتى لم ينزعج، إذ يرد:

والقاضي نهر على صدره
وهكذا انطلقت الهراوة من يد بعل
كالصقر انطلقت من بين أظافره
وأصابت الأمير يم في الكتف
والقاضي نهر في الصدر،

غير أن يم بقي قويا
ولم ينحن
ولم تضعف مفاصله
ولم يتغير وجهه(رينيه ، ص٤٤٧)

ومن الجدير بالذكر أن تلك النتيجة لم تقنع الإله (بعل) ولم تنتهِ الصراع بينه وبين الإله (يم)، إذ نجد أن الإله (كوثروخاسيس) قد عمد إلى صناعة فأس جديد، أطلق عليه اسم (أيمر)، امتاز بقوة وخصائص أعلى من سابقه، ولكن الاستراتيجية في الهجوم من جانب الإله (بعل) قد تغيرت هذه المرة، إذ عقد العزم على توجيه الضربة إلى جمجمة الإله (يم) وليس كتفه، وبعد عدة جولات بين الاثنين ينتهي الحال بالشكل الذي يجب أن يكون عليه إله النهر (يم)، إذ ينهار ويسقط على الأرض إذ يرد:

أن أسمك يكون (أيمر)
و (أيمر) سيطرد يم
سيطرد يم من على عرشه
و (نهار) من على كرسي سيادته
هل لك أن تنطلقي من يد بعل
كالصقر من بين أصابعه
أضربي رأس الأمير (يـم)
والقاضي نـهر في الجبهة
حتى يسقط يم
يسقط على الأرض
عندئذ انطلقت الهراوة من يد بعل
كالصقر من بين أصابعه
وضربت يم على جمجمته
والقاضي نـهر على جبهته
فسقط يم، سقط على الأرض
وارتضت مفاصلة
وتغير وجهه

فجر بعل يم ومزقه

كما قضى على القاضي (نهار) (رينيه، ص٤٤٧ – ٤٤٨)

على ما يبدو أن وقوف الإله (كوثروخاسيس) إلى جانب (بعل) يجسد نوع من التحالف معه، فهي ظاهرة مألوفة بين الآلهة، فلولا وقوف كوثر إلى جانب (بعل) لما تمكن من الانتصار على الإله يم، ولما كان الصراع يحسم لصالحه، فضلاً عن ذلك يعلن (بعل) وقوف آلهة أخرى تساعده في معركته مع (يم)، إلا أن الجهد الأكبر كان للإله (كوثروخاسيس)، وفي الوقت نفسه كان هناك أعوان ومساعدين للإله يم في صراعه مع (بعل) أغلبهم كان من المخلوقات البحرية كالتنين والثعبان(عصام ، ص٥٧).

ووبخت الآلهة (عشتارت) الإله (بعل)، لأنَّه قام بأسر الإله (يم)، ومن ثم أراد قتله، لأن هذا الأمر ترفضه الآلهة مؤكدة له أن الأسرى لا يقتلون، وهذا ما يؤكد لنا وجود ظاهرة الأسر بين الآلهة، والقيام باستخدامهم من قبل آسريهم كعبيد، هذا ما تضمنه النص إذ يرد:

ويخت الإلهة عشتارت (بعل) الجريء

قائد عجلة الغيوم أسر الأمير يم

حاكم النهر أسيرنا

ثم خرج (بعل) العلي مزق يم

كوثر وحاسيس قال

في الحقيقة يم ميت

(بعل) سيحكم(جبرائيل ، ص١٢).

وبنهاية الصراع بين الإله (يم) والإله (بعل) يمكننا أن نصل إلى نتيجة مفادها أن المطر هو مصدر الماء، فالإله (بعل) هو من يزود البحار والأنهار والينابيع والآبار بالمياه، وهذا ما يمنح (بعل) أحقية منصب نائب الإله (إيل)، هذا من جانب ومن جانب آخر، كان لابد أن يكون النصر حليف لـ (بعل)، كيف لا ومملكة اوغاريت تُعدُّ الزراعة مصدر الحياة فيها، لاعتماد زراعتها على الأمطار البعلية، فهي لم تعرف الري الصناعي مطلقاً(قصي، ص ٢٣٨) .

إن الغاية والهدف من الصراع بين الإله (بعل) والإله (يم) تنظيم القوى المائية المتمثلة بفيضان النهر وهيجان البحر، فقد أطلق سكان أوغاريت على الإله (يم) صفة الفوضوية، وذلك لإعاقته عملهم التجاري المعتمد على البحر، وأن هذا النوع من التجارة تحتاج إلى بحر هادئ، غير أن حالة الهيجان والانتهاك التي يمارسها (يم) كانت تؤثر على سكان أوغاريت، فهو رمز للفوضى

بنظرهم، وإنّ انتصار (بعل) بحد ذاته لا يعني القضاء على يم نهائياً، وإنما ردعه وتأديبه ومن ثم اعترافه بسلطة (بعل)، الذي يجسد في هذه الاسطورة جانب الاصرار على الاستمرارية في الحياة(سبتينو موسكاتي، ص٢٧٥).

من الآثار الجغرافية التي تظهرها هذه الاسطورة، أنّ البحر بطبيعته يقوم بشن هجوماً يومياً على الأرض، فينتصر أحياناً، وهو بهذا الانتصار يتمكن من تدمير الصخور، إلا أنه سرعان ما يعود إلى الهدوء وتعود المياه إلى حدودها الطبيعية. ونستطيع أن نلمس من هذه الاسطورة أيضاً انعكاساً واقعياً مفادهُ أن سكان أوغاريت عامة يتعرضون باستمرار إلى الغزو من قبل الشعوب القريبة منهم، فارضة سيطرتها عليهم لمدة إلا أنها بعد وهلة تنصهر ضمن محيطهم الاجتماعي، فالإله (بعل) هنا هو انعكاس للمجتمع المحلي المنتصر في النهاية، في حين أن الإله (يم) يمثل الغزاة(عصام ، ص٨٥).

ثالثاً– أسطورة بناء قصر (بعل):

في هذه الأسطورة تدور مجريات الصراع حول مسألة انتزاع الموافقة من لدن الإله (إيل) لبناء قصر للإله (بعل) بهدف أن يصبح أسوة بباقي الآلهة، وحتى يستكمل كل شارات الألوهية، كان لابد أن يكون له معبد أو قصر يليق به مثل أخوته الآلهة، لاسيما وأنهُ قد أصبح ملكاً على جميع الآلهة ونائب الإله (إيل) في البانثيون الاوغاريتي، هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر كانت الغاية من وراء بناء القصر لـ (بعل) تأمين مسكن لبناته لغرض إيوائهن(غسان ، ص١٥).

تبدأ أحداث الصراع بقيام الإله (بعل) باستدعاء الإلهة (عناة) لتكون إلى جانبه، تساعده في بناء القصر في حالة حصوله على موافقة بذلك، فيشكي الإله (بعل) لها حاله لعدم امتلاكه بيتاً أو قصراً ، فتتعهد عناة بمساعدته. إذ يرد(عصام ، ص١٠٧–١٠٨):

للآلهة البعيدة عناة العذراء وصلت
إلى منابع الأرض بخطواتها السريعة
وصلت إلى مرتفعات صفون
وعندما رأى (بعل) أخته
فأمر النساء باستقبالها وذبح عجلاً لأجلها
وحضرت النساء الماء اللازم لأجلها
فاغتسلت عناة بالندى
واغتسلت بالمطر

وزينت نفسها بالأرجوان
ليس هناك بيت لدي مثل الآلهة وليس عندي مثل أبناء أشيرة
(إيل) عنده بيت وليس عندي
أبنائه عندهم الملاجئ[١] ليحتموا به
وأنا ليس عندي
وبناتي ليس لديهن بيت
فدرية بنت النور ليس عندها بيت
وتاليا بنت المطر ليس عندها ملجأ
آرصي ليس عندها بيت

تقوم الإلهة (عناة) بزيارة أبوها الإله (إيل) وتبادر بطلب منه الموافقة على بناء قصر للإله (بعل)، غير أن الإله (إيل) يرفض ذلك بشدة، فتلجأ (عناة) إلى تهديده، غير أنه يصر على رفضه. وبعد فشل (عناة) في إقناع (إيل)، يقوم (بعل) بالتوجه إلى الإله (كوثروخاسيس) ويطلب منه القيام بصناعة مجموعة من الهدايا الجميلة لكي يقوم بتقديمها إلى الالهة (أشيرة) من أجل أن تساعده في انتزاع الموافقة من (إيل) لبناء قصر لـ (بعل)، والظاهر أن امتلاك جميع الآلهة لبيوت خاصة بهم ماعدا (بعل)، دليل قاطع على أن عبادته كانت حديثة العهد في أوغاريت(حسني، سليم، ص٤٠).

باشر الإله (كوثروخاسيس) بصناعة الهدايا التي كانت عبارة عن منضدة وطاسة مزينة وغير ذلك من الهدايا، وذهبا إلى الآلهة (أشيرة) التي أحست بشيء من القلق والخوف بمجرد أن رأت كلاً من الإله (بعل) والبتول (عناة)، إذ يذكر النص(Green, 2003, P.198):

عندما رفعت بصرها رأت
أشيرة البعل قادماً
وعندما رأت البتول عناة قادمة
عندما رأت سلفة الأمم حركة (نحوها)
رفست برجليها، إذ ذاك، انكسر ظهرها
وعلى وجهها تصبب العرق
ارتعشت خاصرتها، ارتعدت فقرات ظهرها
ثم رفعت صوتها وصرخت قائلة لماذا
أتى الظافر (بعل)، لماذا أتت البتول

عناة؟ هم قتلة بني، الذين قضوا على جماعتي
على عشيرتي، ولكن عندما رأت أشيرة الفضة
عندما رأت آنية الفضة، والذهب المطعم، فرقت الإلهة أشيرة
البحر، ونادت خادمها قائلة انظر، أيها الحاذق الماهر، انظر
يا صياد الإلهة أشيرة البحر، خذ شبكة بيدك تضع
(شبكة) عظيمة على يدك
يجيب (إيل) البحر، في البحر، بحر (إيل) إله الرحمة
جبل الله الظافر (بعل)
بعد ذلك جاء الظافر (بعل)
وجاءت البتول (عناة)
وكرمخا الإلهة أشيرة البحر
وتوصلا إلى خالقة الإلهة.

ويبدو من النص آنف الذكر أن الإلهة (عناة) والإله (بعل) قد توجها للإلهة (أشيرة)، لإقناعها بالتدخل للتأثير على الإله (إيل)، رغم سوء العلاقة التي كانت بينها وبين الإله (بعل)، وكرهها له وغضبها عليه بعد أن قام بالقضاء على الإله (يم)، فأخذت تتساءل عن أسباب قدومه مع (عناة) إليها، متوقعة حدوث شيء سيء، غير أنها عندما نظرت بعينيها إلى الهدايا التي كانا يحملانها، قل خوفها وقلقها عندما عرض عليها (بعل) دوافعه والأسباب التي جعلته يسارع في القدوم إليها، وافقت على مساعدته والوقوف إلى جانبه، وهنا تدخلت الإلهة (عناة) التي راحت تتحدث وحدها معها، وأخذت (أشيرة) تطلب منهما وتسألهم لماذا لا يقوما بتقديم الهدايا للإله (إيل) وامتداحه بدل منها ولكنها في النهاية رضخت لرغبة عناة في تدخلها لإقناع الإله (إيل) إذ يرد:

فأجابت الإلهة أشيرة البحر، لماذا تكرمان الإلهة
أشيرة البحر وتتوسلان على خالقة الإله، هلا كرمتما
ثور (إيل)، إله الرحمة، هلا توسلتما على خالق الخلائق
فأجابت البتول عناة تنشد أولا الإلهة أشيرة البحر
واتوسل إلى خالقة الآلهة، ثم بعد ذلك ننشد أبا الظافر (بعل)
أجابت الإلهة أشيرة البحر، اسمعي أيتها البتول عناة
بينما تأكل الآلهة وتشرب(أنيس، ص ١٣٤).

لقد بدأت الآلهة أشيرة بالمباشرة في تحقيق ما يصبو إليه الإله (بعل)، فتوجهت نحو الإله (إيل) وراحت تمتدحه وتتضرع له، كخطوة أساسية يقوم بها الوسطاء عند قيامهم بالتوسط لشخص معين، ومن خلال قوة تأثيرها عليه، تمكنت من إقناعه بمطلب (بعل) بالسماح له ببناء قصرٍ فوق جبل صفون، وبذلك يكون الإله (إيل) قد تخلى عن جزء كبير من سلطاته إلى الإله (بعل)، كما في النص:

توجهت أشيرة البحر إلى (إيل) عند منبع النهرين
وسط مجرى الغمرين، ثم دخلت أشيرة حمى (إيل) وجاءت
قصر الملك أبي السنين.
وعند قدمي (إيل) اتخذت وسقطت على الأرض
وسجدت وكرمته، أما (إيل) عندما رآها.
فارقه الهم وضحك، ووضع قدميه على كرسي
وصاح بصوت عالي، لماذا جاءت الإلهة أشيرة البحر
إن كلامك أيها الإله (إيل) حكمة، وحكمتك حية إلى الأبد سعادة
لقد حكمت أن ملكنا هو الظافر (بعل)
وأنه قاضينا لا يسمو عليه أحد(أنيس ، ص ١٣٥-١٣٦)
كلنا نحضر له قوسه، كلنا نجلب له كأس شرابه
والآن ألا يصرخ ثور – (إيل) أبوة (أبو البعل)
ألا يصرح (إيل) الملك الذي ثبت (البعل) ملكاً
كما تصرخ أشيرة وبنوها، الآلهة وجماعة
كما لسائر الآلهة ومسكن كما لبنى أشيرة
ليس (للبعل) بيت مقام كما للإله مظلة كما لسائر بنيه
قصر كما للإلهة أشيرة البحر، مسكن كما للعرائس المنعمات(أنيس، ص١٣٦-١٣٧)

ومن ثم قام الإله (إيل) باستدعاء الإله (كوثروخاسيس) وتكليفه بتشييد هذا البناء كونه الإله الذي يتولى مسؤولية هذه الأعمال، إذ يرد:

أجاب لطفان، إله الرحمة:
أعبد أنا؟ أخادم أنا لأشيرة؟
أعبد أنا لأمسك الميسعة (المالج)؟
أما إذا صنعت إماءُ اشيرة اللِبْـينْ

فحقاً سيبنَى بيت للبعل،

كما لسائر الآلهة، وقصر كما لبني أشيرةِ

فأجابت الإلهة أشيرة البحر:

عَظُمتَّ أيها الإله، انك حقاً حكيَم

شيبُ لحيتك قد زادك علماً

ليطمئن[١] قلبك

الآنُ يكثرُ البعل من مطره

البعل يكثر من إنزال ثلجه(أنيس،ص١٣٧- ١٣٨)

على ما يبدو أن المحور الرئيس للصراع في هذه الأسطورة يتركز في الخلاف الذي نشب بين الإله (بعل) والإله (كوثروخاسيس) حول مسألة فتح كوّة في سقف القصر، إذ أراد الإله (كوثروخاسيس) فتح نافذة في القصر لكن الإله (بعل) رفض ذلك وبشدة، وأصر على عدم فتح النافذة، خشية من هروب ابنته فدرية بنت الرعد أو زوجاته إلى الخارج، وربما يكون رفضه خوفاً من دخول الإله موت إلى القصر من تلك النافذة، أو قلقه من الإله (يم) الذي لم يكن قد قضي، عليه وإنما كان محجوراً عليه ليس إلاّ، إذ يرد:

" **أسمعني أيها العلي بعل ،**

" **أفهمني يا راعب الغيوم،**

" **سأضع شباكاً في البيت،**

" **سأضع نافذة في الهيكل،**

يجيبه العلي البعل:

" **لا تضع شباكاً في البيت،**

" **لا تضع نافذة في الهيكل،**

" **لئلا تهرب فدرية بنت الندى،**

" **لئلا تهرب طلية بنت الضباب،**

" **أو يدخل يم حبيب إيل،**

يهينني ويحتقرني،

ويجيبه كوثرخاسيس

" **ستعود يا بعل لرأيي**"(حسني ، سليم ، ص٥٠-٥١).

وبعد أن شيد الإله (كوثروخاسيس) قصراً ضخماً للإله (بعل)، وجهزه بأحسن الأثاث، قام الإله (بعل) بتجهيز مأدبة طعام دعا فيها جميع الآلهة احتفالاً بهذه المناسبة، إذ يرد(حسن الباش، ص١٣٤):

قدم هدد إلى قصره وحضره
ذبح العجول والخراف والماعز
أقام مأدبة لأخوته الآلهة
في قصره قدم العجول للآلهة
والحملات الطرية دعا أخوتهِ إلى بيته
إلى وسط قصره دعا السبعين
من أبناء أشيرة
أعطى النبيذ للشرب أعطى للشرب
أعطى النبيذ للشرب
أعطى للشرب أعطى النبيذ للشرب
أعطى للشرب أعطى النبيذ للشرب
أعطى للشرب

بينما أكلت الآلهة وشربت، هم أكلوا اللحم الطري بعد أن قطعوه بالسكين على شكل شرائح، في الأقداح شربوا النبيذ، في كؤوس الذهب شربوا عصير العنب(عصام ، ص١٤٥).

من خلال هذه الأسطورة يتضح لنا جملة من الأمور منها: أن قيام الإله (بعل) ببناء قصرٍ له، والإعلان عن ذلك بإقامته حفلاً، دعا فيه جميع الآلهة، يكون قد عدَّ نفسه ملكاً على جميع الآلهة، وحصوله على مكانة مرموقة في البانثيون الاوغاريتي ، بالإضافة إلى ذلك أنه أصبح يملك بيتاً أسوةً بباقي الآلهة، ناهيك عن دور الإله (بعل) في دعم اقتصاد أوغاريت، الذي عرف بالاقتصاد الزراعي، وأهمية الأمطار في ذلك لاسيما وأن سكان أوغاريت كانوا قد بدأوا يمارسون الزراعة البعلية، كل ذلك ساعد بشكل أو بآخر في علو مكانة الإله (بعل)، وجعل عبادته تحتل المكانة الأولى بين الآلهة، فأثار ذلك حقد وكراهية الإله (موت) عدوه اللدود، ليدخل معه في صراع مرير(عصام ، ص١٤٧-١٤٨).

هذا ويبدو أن رمزية بناء قصر (لبعل) تتضح في كون القصر يمثل مظهر من مظاهر الحكم أي (حكم بعل) الذي يمثل طقساً مؤكد ويجب الاحتفال به والعمل على بقائه فاعلاً فضلاً عن أن

بناءه على قمة جبل مقدس يعني أنه بالاحتفال الطقسي يتمكن الإنسان أن يحافظ على ديمومة حكم (البعل) وبقاء ضبطه لظواهر الطبيعة غير المتوقعة والمحافظة على بقاء (يم) هادئاً في مكانه والحيلولة دون وصول (موت) إلى السيطرة المطلقة على شؤون الطبيعة . هذا ويمثل حكم (بعل) الدائم مرحلة سلام دائم، فضلاً عن البعد الاجتماعي الذي يجسده بناء القصر والمتمثل في تثبيت النظام الاجتماعي في أوغاريت(حسني ، سليم ، ص١١)

الخاتمة:

- حاول الإنسان السوري القديم أن يربط بين مظاهر الطبيعة المختلفة وآلهته التي أوجد فيها الحيز المناسب الذي ينسب إليه كل ما يحل به من شدائد وصعاب من خلال الصاقه كل الصفات التي يتصف بها من خير وشر إلى الآلهة. خاصة وإن المجتمع لا يخلو من مظاهر النزاع والتنافس وهي من آليات الصراع وعكس هذه الصفات على الآلهة على أساس أنها من تحدد مصير البشر.
- إن الميثولوجية الاوغاريتية تجسد حالة من الصراع ، إذ إن أغلب موضوعاتها تدور حول هذا الموضوع مع بعض التنوع فيه، فهناك صراعات تدور حول إرساء دعائم النظام والقضاء على الفوضى كصراع (بعل) مع (يم)، وصراع يجسد الخير والشر أو الحياة والموت كصراع بعل مع موت.
- إن الأساطير والملاحم الاوغاريتية تبسطان أمامنا مفهوماً صاغه إنسان الشرق القديم عن كون مترابط تجري فيه الأحداث في حيز متصل يجمع الآلهة والبشر وكل مظاهر الحياة الطبيعية في كل موصد ، فحياة الالهة تعتمد على الإنسان بما يقدمه لها من أضاحٍ وقرابين ، وحياة الإنسان تعتمد على الآلهة التي تضمن انتظام حركة الفصول ، وخصب الأرض ، وحياة النبات والحيوان تعتمد على كليهما.
- مثلما كانت للآلهة أثر كبير في الطبيعة بوجود ظاهرة موت الآلهة وانبعاثهم من جديد في القصائد السورية القديمة، فقد كان الشيء نفسه للملوك فقد كان موت الملك أو مرضه يسبب حدوث خلل في توازن الطبيعة ينعكس على قلة الأمطار وذبول النباتات وقلة المحاصيل ، كما حدث عند موت (أقهات بن دانيال) ومرض الملك (كرت).
- إن المكانة الشبه إلهية للملك الكنعاني جعلته في نقطة الوسط بين العالم الإلهي وعالم الطبيعة والإنسان ، فعن طريقه تنزل بركة السماء لتزرع في الأرض فإذا مات دون أن يترك وريثاً أختل نظام الطبيعة وجفت المزروعات وهددت المجاعة رعاياه.

قائمة المصادر والمراجع العربية والمعربة:

١. احمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، ط٢، مكتبة الانجلو– المصرية.
٢. أنيس فريحة، ملاحم وأساطير من أوغاريت، دار النهار، (بيروت، ١٩٨٠م).
٣. تقي الدباغ، بعض مظاهر الفكر الديني القديم في بلاد الشام، مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد ، العدد٢٣، (بغداد، ١٩٧٨م).
٤. جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينقية الكنعانية ، ترجمة: إلها الخش ، ط١ ، (سوريا، ١٩٩٨م).
٥. جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ترجمة: ريا الخش، دار الحوار، (اللاذقية، ١٩٩٨م).
٦. جورج كونتيو، الحضارة الفينيقية، ترجمة: عبد الهادي شعيرة، الهيئة العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٧م).
٧. الجوهري، يسري، جغرافية البحر المتوسط، (الاسكندرية، ١٩٨٤).
٨. حسن الباش، الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي، دار الجليل ، (دمشق ، ١٩٨٨م).
٩. حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، دار الفكر العربي، (بيروت، ١٩٩٤م).
١٠. حسني حداد، سليم مجاعص، أناشيد البعل (قراءة جديدة للأساطير الأوغاريتية)، دار أمواج، (بيروت، ١٩٩٥م).
١١. حسني حداد، سليم مجاعص، أناشيد البعل، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، (عمان– الاردن، ١٩٩٥م).
١٢. خزعل الماجدي، الآلهة الكنعانية، دار أزمنة، (عمان ، ١٩٩٩م)، ص٥٠.
١٣. رينيه لابات، سلسلة الأساطير السورية ديانات الشرق الأوسط ، ترجمة: مفيد عرنوق، ط٣، دار علاء الدين، (دمشق، ٢٠١٢م).
١٤. سامي سعيد الأحمد، تأريخ فلسطين القديم، (بغداد، ١٩٧٩).
١٥. سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، (القاهرة ، ١٩٦٨م).
١٦. سبتينو موسكاني، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: يعقوب بكر، دار الرقي، (بيروت، ١٩٨٦م).
١٧. شارل فيرللو، أساطير بابل وكنعان، تعريب: ماجد خيريك، (دمشق، ١٩٩٠م)

١٨. طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط٢، شركة التجارة، (بغداد، ١٩٥٦م)، ج٢.
١٩. عصام الزعبي، الأساطير الأوغاريتية في الألف الثاني ق.م، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، (جامعة دمشق، د.ت).
٢٠. غسان القيم، الأسطورة الأوغاريتية، (د.ت)
٢١. فايز مقدسي، قصائد أوغاريتية، دار الابجدية للصحافة والطباعة والنشر، (٢٠٠٥م).
٢٢. فراس السواح، مدخل إلى نصوص الشرق القديم، دار علاء الدين، (دمشق، ٢٠٠٦م).
٢٣. قصي عبد الرحمن، أوغاريت، الهيئة السورية للكتاب، (دمشق، ٢٠٠٨م).
٢٤. كارم محمد عزيز، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، دار النافذة، (دمشق، ١٩٩٩م).
٢٥. محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية ، ط٢، دار النهضة، (بيروت، ٢٠١٠م).
٢٦. محمد حسين قنطر، الفينيقيون بناة المتوسط، منشورات البحر المتوسط، (تونس، ١٩٩٨م).
٢٧. مظهر سليمان، أساطير من الشرق، ط١، دار الشروق، (٢٠٠٠م).
٢٨. ميرسيا إلياد، الأساطير والأحلام والأسرار، ترجمة: حسيب كاسوحة، (دمشق، ٢٠٠٤م).

الرسائل والاطاريح:

٢٩. هديب حياوي عبد الكريم غزالة، دور حضارة العراق القديمة في بلاد الشام، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، (جامعة القادسية ، ٢٠٠٢م).

الدوريات (المجلات):

٣٠. جبرائيل سعادة، أقدم نصوص أدبية في سورية، مجلة الموقف الادبي، مجلد٥، العدد٣، (سوريا، ١٩٧٥م).
٣١. طه باقر، ديانة البابليين والآشوريين، ضمن مجلة سومر (المجلد ٢)، الهيئة العامة للآثار والتراث، (بغداد، ١٩٤٦م).
٣٢. محمد حرب فرزات، الديانة الفينيقية وعناصر الميثولوجيا في حضارة سوريا القديمة، ضمن مجلة دراسات تاريخية، العدد ٤١-٤٢، (دمشق، ١٩٩٢م).

المراجع الاجنبية :

1. De Moor, J., C., An Anthology of religions texts from Ugarit, (Brill Archiv, 1987).
2. Green, A, R, W, The strom god in the Ancient Near East, (Yisenbrauns, 2003).
3. Johannes C. de Moor: An Anthology of Religious Texts from Ugarit. (Brill Archive, 1987).
4. Patton, C., Cook, S., The whirl winl Essys on Job Hermeneutics The Ology in memory of Jan morses, (2001).
5. Wyatt, N., Religious in ancient Ugarit, (Combridge University Press, 2007).
6. Wyatt, N., Religious texts from Ugarit, (Biblical Seminart, 2002).